تقييم لنبوءة حزقيال على صور في ضوء الأدلة التوراتية والأثرية

أ. د أحمد مجيد الجبوري & أ.م. رافد كاظم كردي

كلية التربية/جامعة القادسية

تاريخ أستلام البحث :- ٢٠١٥/٩/١٧ تاريخ قبول النشر :- ٢٠١٥/١٠/٢٠

الخلاصة :-

تُعدُّ النبوءات والتنبؤات والرؤى(*) من المحركات المهمة التي حفزت أحداث التاريخ وأثرت عليه بشكل أو بآخر . ومن جانب آخر ، فقد أثرت على نتائج الاحداث التاريخية في منطقة الشرق الأدنى القديم سلباً أو إيجاباً . وبناء على هذا المفهوم والتوصيف ، وقع اختيارنا على دراسة وتقييم نبوءة حزقيال على مدينة صور وتحديداً في الإصحاح ٢٦ ، لاسيما وأنها واحدة من أعقد النبوءات في العهد القديم ، أو التوراة العبرية كما تسمى ، إذا ما استثنينا النبوءة الأعقد المتعلقة بـ " جوج وماجوج " التي نقلها سفر حزقيال أيضاً في الاصحاحين ٣٨ و ٣٩ . فالنبوءة التي خص بها حزقيال مدينة صور وأهلها من الكنعانيين ينظر اليها المختصون على أنها نوع من التنبؤ والإخبار النبوي المسبق التي لم تتحقق على الرغم من أنها نقلت على لسان نبي من أنبياء يهوه الكبار الذي عاش في بلاد بابل أسيراً في زمن نبوخذ نصر ملك بابل (٦٠٤ – ٥٦٢ ق . م) . والإشكال التاريخي الديني الذي يسجَّل على هذه النبوءة ينبع من حقيقة أن ما تنبأ به عن دمار مدينة صور بالكامل وزوالها النهائي من الوجود على يد نبوخذ نصر البابلي ، بسبب غضب الرب عليها وحلول دينونته ، أي حسابه وعقابه ، لم يتحقق بالشكل الذي ذكرته النبوءة . وقد عزت النبوءة غضب الرب يهوه على صور الى سخريتها (متمثلة بأهلها) من أورشليم عاصمة يهوذا التي أسقطها ملك بابل المذكور وجعلها تابعة له في عام ٥٨٦ ق . م . لقد شعر الصوريون بالسعادة والزهو لأن ثروة وتجارة موانئ أورشليم المنافسة لصور ستتحول اليهم بدون منافس ولا خصم يعترضهم في البحر المتوسط . وهكذا ، يكون بإمكانهم التحرك في مختلف الاتجاهات بحرية وأمان ولا سيما بعدما تصوروا أن امبراطوريتي مصر وبابل غير قادرتين على اختراق دفاعاتهم الحصينة في البر والبحر . بيد أن هذه النبوءة لم تتحقق كما ذكرنا آنفاً بذريعة يعزوها المفسرون الى تحول نبوءة الرب ودينونته من صور الى مصر المتجبرة . فساق الرب ملك بابل نحو هدفه الجديد ووجهه الى مصر لتكون أجرة ومغنماً لجيشه بعد أن يئس من النيل من صور التي صمدت قرابة ثلاثة عشر عاماً من الحصار دون جدوى بسبب منعة تحصيناتها .

لقد ركزنا على نقاط محددة في هذا البحث لأهميتها بنظرنا كالأسلوب البلاغي والصيغة التاريخية للنبوءة وكذلك على الدلالة الرمزية للنص وتقييم الباحثين المتباين لمدى التحقق والمصداقية ، فضلاً عن المقارنة بينها وبين نبوءات تخص مدينة صور في أسفار توراتية أخرى من بينها اشعيا وارميا وعزره وزكريا، وأيضاً مصادر بابلية معاصرة للنبوءة . ومما يلاحظ أن أغلب المصادر التي تناولت الواقعة المتعلقة بصور لا تعزز نص النبوءة بل تعارضه تقريباً جملة وتفصيلاً . ناهيك عن الأدلة الأثرية التي تؤكد بقاء مدينة صور على حالها وممارسة أهلها التجارة والملاحة البحرية حتى العصور المتأخرة التي سبقت العصر المسيحي .

المقدمة :

تعدُّ النبوءات والتنبؤات والرؤى التي جاءت في أسفار التوراة (العهد القديم) من المصادر الثانوية التي يعول عليها بعض المؤرخين نسبياً للتعرف على أحداث التاريخ وتفسير علله ، فضلاً عن تأثيراتها الدينية والسياسية والاجتماعية . وفي مستهل بحثنا في نبوءة (وتنبؤ) حزقيال في الإصحاحات ٢٦ – ٢٨ عن دمار مدينة صور ورثائها ، لابد أولاً من التعرف على المقصود بالتنبؤ أو العرافة بشكل عام وفقاً للمصطلحين (prediction , divination) ؛ وثانياً التمييز بينه وبين التنبؤ (المسبق) بنبوءة يهوه إله اليهود وفقاً للمصطلح (Foretelling) . أما الخاصية التي تميز بها تنبؤ هذا النبي ، الذي يعدُّ سفره من الأسفار الكبار الأربعة : اشعيا ، ارميا ، حزقيال ودانيال في الترجمات الحديثة للكتاب المقدس ، من حيث مادته ونسبة التنبؤات والرؤى فيه بالمقارنة مع غيره من الأسفار النبوية الأربعة الكبيرة والأسفار الاثني عشر الصغيرة التي تليها من هوشع – ملاخي ؛ فالتنبؤ المقصود هو النشاط الرؤيوي المصحوب بتوتر بدني واجهاد فكري مصحوباً بنشوة روحية توصل من يقع تحت تأثيرها الى العلم المسبق بالأحداث المستقبلية التي يريها الرب يهوه لأنبيائه ليبلغوا بها من يخصهم بها مباشرة . ومن بَين التنبؤات ما نحن بصدد دراستها وتقييمها وهي نبوءة حزقيال على دمار مدينة صور .

إن الصفة التي تميز سفر النبي حزقيال عن غيره من أسفار الأنبياء في التوراة اليهودية المكونة من تسع وثلاثين سفراً هي صفته الرؤيوية . وهذا يعني أنه يتنبأ ليرى ما لا يرى بالعين المجردة ، أي رؤية الغيب بمشيئة ربانية قصدية هادفة . فالذي يرى من خلال التنبؤ النبوي فيه مصلحة عامة تُصلح ولا تُفسد ، وتهدي ولا تضلل ينسب الى الرب يهوه فيقال عنه أنه نبوءة (a prophecy) ؛ وربما مثّلها في القرآن الكريم الـ " النبأ " أو البلاغ المرسل بواسطة الوحي والإلهام (Revelation , Inspiration) وبصيغة الفعل المضارع " يُنبِئ / يُنبِّئ " أو بفعل الأمر" نبِّأ "، اللذان يضاهيان في التوراة الفعلين " يتنبَّأ " و " تنبَّأ " . والفارق الذي يبدو لنا بين الفعلين المذكورين في التوراة والقرآن الكريم أن الفعل الذي يناسب النبأ والتبليغ الرِّسالي في القرآن الكريم لا يوحي بالتنبؤ الى النبي محمد (ص) ولا الى من سبقوه من الأنبياء

قاطبة . أي أن القرآن يبعدهم عن النشاط التنبئي بالمطلق ، بينما نجد نقيضه في التوراة فأفعال التنبؤ مشروعة ومستحسنة بالنسبة الى الرب تعالى لأنه هو من بلّغ النبي حزقيال (وغيره) بالقول له : (" اذهب تنبأ على ... وقل ") كما في النبوءة على فرعون مصر (حزقيال ٢٩ : ١ – ٣) والنبوءة على جوج ملك ماجوج (حزقيال ٣٨ : ١ – ٣) . ونحن في هذا البحث لا نروم الولوج بخلفية نقدية سلبية ، وفي الوقت نفسه لا نبغي تجميل ظاهر أو باطن النص التوراتي بإيجابية مقصودة ، بل سنتبع الوسطية والمرونة النقدية . فالنقد التوراتي الحديث طال وحي وإلهام مؤلفي التوراة ، فضلاً عن اسلوبها ولغتها الرمزية ، ورؤيتها لأبعاد الزمان الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل ولعناصر الحدث التاريخي ، الزمان والمكان والمحرك الفاعل بينهما وهو الإنسان .

وبموجب هذه الحقيقة عن تشكل الحدث التاريخي وعلاقته بالتنبؤ في أسفار الأنبياء ، وهي القسم الرابع من أقسام العهد القديم (التوراة ، كما مبين في المخطط التوضيحي السابق) يستحسن الاطلاع على اسلوب التنبؤ بنبوءة خراب مدينة صور الكنعانية على يد الملك نبوخذ نصر البابلي التي تنبأ بها حزقيال في الاصحاح ٢٦ (١– ٢١) ونقل ما رآه بإلهام ووحي من يهوه واستكمل ما حصل لها في الاصحاحين ٢٧ و ٢٨ والدعوة الى رثائها لأنها لم تعد كما كانت زاهية غنية بتجارة سفنها بل تحولت الى بلدة أشباح وقفر وموت . ويستلزم فهم نص هذه النبوءة الخوض في مناقشة مستفيضة للأسلوب البلاغي والمعاني الرمزية لمعرفة مدى مطابقتها لبعدي الزمان والمكان ولجغرافية المدن في الساحل الكنعاني والعلاقات الثنائية القائمة بين الدول والشعوب في منطقة الشرق الأدنى القديم . لقد انتهجنا في البحث اسلوباً يتسم الى حد ما بالموضوعية التاريخية وبالقدر الذي نفهمه من هذه المقولة معززة بأدلة وشواهد معاصرة لعصر النبوءة أو قريبة العهد منها ليتناسب والطرح الذي عرضت به النبوءة على صور . ولذا ، تم بحث الموضوع والوصول الى نتائجه من خلال أربعة مباحث وعلى النحو الآتي : بوادر نبوءة حزقيال على صور ؛ الجغرافية التاريخية اختبار لصدق لنبوءة على صور ؛ تقييم تحقق النبوءة على صور تاريخياً ؛ وأخيراً التأويلات الدينية لتقييم تحقق النبوءة على صور .

المبحث الأول : بوادر نبوءة حزقيال على صور (٢٦: ٧- ١٢):

أخبرنا حزقيال (٢٦: ٧– ١٢) في نبوءته الغامضة على صور وفقاً للأسلوب الذي يقدّمه سفره كما في أدناه :

" وقال السيد الرب : " ها انا اجلب عليك يا صور نبوخذ نصر ملك بابل ، ملك الملوك ، من الشمال بخيل ومركبات وفرسان وجيش وحشد كثير ، فيخرب ضواحيك التي في البرية [on the mainland] ، ويبني لحصارك برجا ويركم تلاً [a mound] ويرفع مترسة ويلقي على اسوارك صدمات كباشة [المنجنيق battering arms] ويهدم بروجك بآلاته الحربية . ولكثرة خيله يغطيك بغبارها ، ومن صوت

الفرسان والعجلات والمركبات [العربات الحربية] تتزلزل اسوارك ، وهو يدخل ابوابك دخول مدينة مقهورة . بحوافر خيله يدوس جميع شوارعك ويقتل [يذبح] شعبك بالسيف وانصابك الهائلة (١) *تسقط الى الارض . ويسلبون ثروتك ، وينهبون تجارتك ، وينقضون اسوارك ، ويهدمون بيوتك الفخمة ، ويلقون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه "* (٢).

من المتوقع جداً ان النبي حزقيال بدأ يتنبأ على صور بموجب هذه النبوءة في أواخر أيام مملكة يهوذا ، لاسيما وأنَّ الاصحاحات التي سبقت الاصحاح ٢٦ تؤرخ في السنة الخامسة من نفي يهوياكين (Jehoiachin's exile) الى بابل في حوالي عام ٥٩٢ ق م . بينما تأتي النبوءة القاسية ضد صور في السنة الحادية عشر من نفي الملك المذكور أي في عام ٥٨٧ / ٥٨٦ ق . م ، بناء على الصيغة التأريخية التي تبدأ بها نبوءة الإصحاح ٢٦ (كما في الآيات ١- ٦) والتي تؤرَّخ هكذا : (*وفي السنة الحادية عشرة بعد السَّبي ، في الأول من الشهر* ، قال لي الربُّ ...) مما يعني مرور ثلاثة شهور لا غير قبيل موعد سقوط اورشليم الأخير بيد البابليين . ولربَّ مصائب قوم عند قوم فوائد ، فالبادرة وسبب التصريح بالنبوءة ضد صور تكشفه لنا الآية الثانية من هذا الإصحاح (٢٦) وهو عزم الصوريين الاستفادة اقتصادياً من الدمار والشلل الكلي الذي كان ينتظر أهالي اورشليم ، ووقوف صور موقف المتشمت والمستخف بمدينة يهوه أورشليم عاصمة مملكة يهوذا . ومن المحتمل جداً ان يهوذا كانت بحاجة الى المواد الأولية الداخلة في الصناعات الحربية التي تهيمن عليها صور من خلال التجارة البحرية في البحر المتوسط ومنافذه المطلة على أوربا وآسيا وأفريقيا . ففي السابق كانت يهوذا هي من تستفيد من التجارة البرية للبضائع المارة بأراضيها من بين الشرق والغرب وخاصة في أوقات الضعف التي كانت تنتاب القوى المتنفذة في العالم القديم سواء في بلاد ما بين النهرين أو في سورية ومصر وبلاد العرب الجنوبية (٣) .

فها هي الآية الثانية من الاصحاح ٢٦ تنقل بوضوح وبلا لبس قول الرب على لسان حزقيال : *" بما انَّ صور شمتت بأورشليم وقالت : بوابة الشعوب تحطمت وخربت ، وتحولت كنوزها الينا "*. إن ابتهاج أهالي صور وشماتتهم بتحطيم وخراب اورشليم التي وصفت بأنها كانت "*بوابة الشعوب* " دليل على أنها كانت مركزاً تجارياً مزدهراً ينافس صور في مجال التجارة . ولكن شاء القدر أن تتحول اورشليم الى خراب وكنوزها ذهبت الى صور ، أي كنوز التجارة . وبخصوص العلاقة السابقة بين صور واورشليم ، فقد تحالفت صور مع مملكة يهوذا ضد الأطماع البابلية في الجهة الغربية ولكن انهارت عرى التحالف بين الطرفين في ضوء ما كشفته نبوءات حزقيال في ٢٦ : ٢ ؛ ٢٨: ٩ ؛ ووحي رؤيا أشعيا ٢٣ : ١ .

ومن الملاحظات التي تسجَّل على نبوءة حزقيال في الاصحاح (٢٦ : ٧ – ١٤) استعماله لمفردة "*العجلات* " في الهجوم على صور ولا نعلم ما هو نوعها لاسيما وأنها ترد أمامنا لأول مرة في النصوص

النبوية التوراتية ! . فقد اشار الى أهوال أصوات الفرسان والعجلات والمركبات التي زلزلت اسوار المدينة بآلات المنجنيق (*battering arms*) ليدخلها ملك بابل من ابوابها فيجدها مدينة منكوبة مقهورة لا ساكن فيها لأن من فيها هجروها بعد أمد من الحصار قارب الثلاثة عشر عاماً كما سنبين من خلال البحث .

وأما الملاحظة الأخرى فتتعلق بالآيات ١٩ – ٢١ في قوله عن زوال مدينة صور أن الرب سيرمي كل حجارتها وخشبها في عرض البحر ، فتهدم الاسوار المقامة فيها مما يعنى محوها من الوجود تماماً . والأكثر من كل ذلك ، ان الآيات الأخيرة من الاصحاح ٢٦ تذكر أن مدينة صور سوف لن يكون لها مكان ولا حياة بعدئذ ؛ أي أنها أُزيلت من الوجود وهبطت من ارض الاحياء الى ارض الاموات ، فكانت عدما ونسياً منسياً ، لأن من سيطلبونها لن يجدوا لها معلما ولا أثراً باقياً [٤]. ومن الجدير بالذكر ايضاً أن النبوءة المتعلقة بصور لم توظِّف البتة الفعل " *تنبأ* "مثلما اعتدنا عليه في نبوءات اخرى من هذا السفر . فعلى سبيل المثال ، ذُكر الفعل" *تنبأ* " في النبوءة على بني عمون (٢٥ : ٢) وفي النبوءة على صيدا (٢٨: ٢١) والنبوءة على فرعون مصر (٢٩: ٢) وكذلك في النبوءة على جوج ملك ماجوج . ولكي لا نبتعد عن نقل الحقيقة الناصعة فإن النبوءة على صور لم تكن هي الوحيدة التي لم يشر فيها الى الفعل " تَنَبَّأَ " ، بل أن هناك نبوءات اخرى تفتقر الى هذا الفعل التنبئي نذكر منها النبوءة على حصار اورشليم (٢٤: ١ – ١٤) والنبوءة على أرض"*الفلسطيين* " (٢٥ : ١٥ – ١٧)

إذن ، فالنبوءة التنبؤية (The predictive prophecy) على صور تستحق الإسهاب في مناقشتها وبحثها لنتأمل ما فيها من دلالات ورموز وتحقق للغرض والمصداقية التاريخية للنبوءات والتنبؤات . فحساسية وعمق ورمزية هذه النبوءة ربما لا تضاهيها فيها نبوءة أخرى سوى " نبوءة جوج ملك مأجوج ربما لأن الأخيرة ذُكرت في ثلاثة مصادر دينية منسوبة للوحي السماوي وهي التوراة (سفر حزقيال) والإنجيل (سفر الرؤيا) والقرآن الكريم (سورتي الكهف والأنبياء) . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن مدينة صور تتميز بخصوصية عن غيرها من المدن القديمة اقتصادياً وجغرافياً وتاريخياً . فهذه المدينة حظيت على مر الزمان بمكانتها المتميزة بدليل انها صارت مضرباً للأمثال لجمالها وثرائها وصمودها بوجه الطامعين بخيراتها كما نقلت أسفار الانبياء في التوراة [٥]. وكذلك لجعلها معياراً في اختبار مدى تحقق ما تنبأ به حزقيال ازاءها ومدى مطابقة وصفه لها مع الواقع التاريخي والجغرافي بالمقارنة مع النصوص المعاصرة لملوك الممالك المجاورة وما بقي من آثار تشهد على عمق تاريخها الحضاري .

تتحدث هذه النبوءة عمَّا تلقاه النبي المذكور في غربته ببابل من وحي رؤيوي كشف له سبب وقوف الرب يهوه خصماً لصور الكنعانية – الفينيقية التي وقفت متشمتةً ومتشفيةً بخراب اورشليم وهي

ترى تحول كنوزها ومصائر ابنائها الى يد اعدائها البابليين خلال الهجوم الثاني لنبوخذ نصر على مملكة الجنوب يهوذا . وتبتدئ النبوءة الرؤيوية بصيغة تاريخية تتلى كالآتي : " *وفي السنة الحاديةَ عشرةَ بعد السبي ، في الاول من الشهر، قال لي الرب، يا ابن البشر ...* " [٦]. وحدد تأريخ هذهَ الصيغة التاريخية في عام ٥٨٧ ق. م بحسب لاهوتيو وشراح الكتاب المقدس [٧].

ومدينة صور الفينيقية ، التي اختصها حزقيال بهذه النبوءة ، كانت على العكس من باقي المدن والجزر الفينيقية كمدينة صيدا في شمالها، وجزيرة ارواد المقابلة لمدينة اللاذقية السورية ، فمدينة صور صارت بؤرة تجلب الحساد والطامعين نحوها لكونها من أهم المراكز التجارية في ذلك الوقت ومفخرة في زمانها في الجمال والثروة وصناعة السفن التجارية ويبدو انها صارت منتجعاً سياحياً ترفيهياً . حيث بنيت المدينة عند مدخل البحر وتاجرت مع شعوب الجزر البعيدة عنها (ذكرت بعض اسماؤها في أشعيا ٦٦ : ١٩) . وقد تحالفت مع يهوذا ضد البابليين ثم انفصلت عن يهوذا . وكانت الانصاب تقام أمام معبد " ملقارت " اله صور الأول . ومما نقله عنها حزقيال في مرثيته (٢٧ : ١ وما بعدها) أنها تباهت بكمال جمالها وسميت في زهوها بسفينة قلب البحر . كان صناع وحرفيي صيدا وارواد وجبيل يعملون لديها في نجارة السفن وتجميل مقاعدها وموانئها ، فمن شجر السرو صنعوا الألواح ومن ارز لبنان عملوا السواري المرفوعة عليها ومن البلوط صنعوا المجاذيف ومن العاج المرصع في الشَّربين ! صنعوا المقاعد . فضلا عن تجنيد المرتزقة في جيشها استقدمتهم من بلدان أجنبية من بينها فارس وافريقيا لحماية سفنها وممراتها المائية وموانئها . وهناك من تاجروا معها وبادلوها أو قايضوها أنقى وأرقى وأنفس البضائع والسلع والعطور والأحجار الكريمة والكنوز ، ناهيك عن مختلف أنواع الدواب والحبوب والقماش الفاخر والمسك والعسل والزيت وقرون العاج والأبنوس والاواني النحاسية والياقوت والمرجان والخمر ، وأما عن مقايضة العبيد فكانت تلقى رواجاً كبيراً . ومن بين من تاجروا وتعاملوا مع صور : " شبا " و " رعمة " في جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومشايخ جزيرة العرب في قيدار ، وقبيلتي " دان" و " ياوان " العربيتان ، فضلا عن أشور ودمشق ومدن وبلدات اسرائيل ويهوذا وسواحل شاطئ البحر المتوسط وصولا الى جزر ترشيش في اسبانيا ، ناهيك عن توبال وماشك في اسية الصغرى التي ينسب اليها قوم جوج وماجوج وجزر الأرخبيل اليوناني ومنها رودس وغيرها من البلدان الكثير . وبعد كل هذا جاءت النبوءة لتنذر بسقوط وزوال كل معالم هذا المجد على يد امم اجنبية قادمة من الشمال يتزعمها نبوخذ نصر الثاني ملك بابل [٨].

والجديد في مسالة النبوءة على صور اننا لا نجد فيها ما اعتدنا عليه من قول الرب لحزقيال (" *اذهب تنبأ على ...* ") كما هو الحال مع نبوءات صيدا ومصر وأدوم (جبل سعير) وعمون ، الى الشرق من البحر الميت ، التي أقام فيها البدو (أسوة بأرض عمون) الذين جاءوا من شرقي الأردن في ظروف سانحة . ومع ذلك فقد عدَّت أقواله على صور من قبل شراح الكتاب المقدس والباحثين نبوءة من

يهوه . فتعاملوا مع دور النبي فيها كمتنبئ وناقل للنبوءة الالهية . ولذا عدوا فعل التنبؤ في مثل هذه الحالة هو (prophesy) وليس (predicted) مع العلم أن الفعل الأخير يجوز استعماله في نبوءة حزقيال على صور ولكن الفعل الأول اكثر ارتباطاً بالأنبياء لتجانس الألفاظ . وعليه ، فسنتعامل بخصوصية مع هذه النبوءة على الرغم من ان للنبي نبوءات أخرى شملت المدن الفينيقية الاخرى كنبوءته على صيدا (صيدون Sidon) ، (٢٨: ٢٠ – ٢٦) التي تلقى فيها أمراً من الرب بأن يتنبأ عليها وخاطبه فيها :" *يا ابن البشر ، التفت نحو صيدون وتنبأ عليها* " ، ليخبرها بأن الرب سيكون خصمها ويرسل عليها الوباء ويكثر في شوارعها الدم والقتل لكونها احتقرت بيت اسرائيل ولم تعر لمن يتكفل بها ويرعاها (يهوه) اي اعتبار ، الى أن يعود الصيداويون وملكهم الى رشدهم ويقدّروا الهَ اسرائيل ولا يشمتوا بشعبه أو يحتقروهم .

وفضلاً عن ذلك ، فقد تلقى حزقيال وحياً لنبوءة من الرب على كل أرض أدوم (من تيمان ، وهي مدينة كانت تقع جنوبي أدوم ، الى ددان) ، فأبلغ بالعقاب المرتقب الذي ينتظر الادومين ، أولئك الساكنون عند جبل سعير ، وهو موقع استوطنه بنو أدوم ويقع جنوبي البحر الميت . وتدعى منطقة أدوم في بعض النصوص أرض تيمان وددان . ومما جاء في النبوءة أن هذا المستوطن سيجعله يهوه خراباً ومقفراً وسيقتل كل من سكن فيه بسبب عداوتهم لبني اسرائيل وشماتتهم بما حل بسكان اسرائيل ويهوذا [٩] .

ومن خلال بحثنا في نبوءة حزقيال على صور لوحظ تعامل الباحثين معها باهتمام كبير وذلك لعوامل عدة ستتبين لنا من خلال التفاصيل التي سنقدمها . ولعل ما يشدنا ويلفت انتباهنا للوهلة الأولى الى ما بين ايدينا من دراسات تخص موضوع النبوءة العنوان الذي نقرأ فيه :" *التنبؤ والعلم المسبق في نبوءة حزقيال على صور* " وهي دراسة عالجت النبوءة على صور بتأنٍ وعمق ومع ذلك فلم تعط الموضوع كل ما يستحق لتداخله مع التواريخ والأحداث المعاصرة له في فلسطين وما جاورها . عالج صاحب هذه الدراسة وهو الباحث "*كريس ج. أود* " (*Kris J. Udd*) مضمون نبوءة حزقيال على صور (*Ezekiel's prophecy against Tyre*) من زوايا مختلفة. ومما خلص اليه هذا الباحث أن *مدينة صور (Tyre)* التي تنبأ حزقيال بأنها سوف تدمر من قبل الملك البابلي نبوخذ نصر لم تتحقق طبقاً للأسلوب أو السياق الذي ذكره النبي عنها ، ولا بمعايير العلم (الغيبي) المسبق اعتماداً على يهوه [١٠] . والدليل على ذلك أن الأدب التوراتي كثيراً ما أشار الى ذات النبوءة ولكن بأسلوب مختلف إما كلياً أو في بعض جزئياته . ويتعزز اختلاف الرؤى ايضا حيال مصير مدينة صور أكثر من خلال الأدلة الأثرية المتوفرة ، فضلا عن اعتراف النبي حزقيال نفسه في نبوءة أخرى تلتها بهذه الحقيقة التاريخية التي سنذكرها في سياق البحث .

لقد أصبح من الثابت عند الباحثين وبشكل معزز بالقرائن والاثباتات ان التحول في مسار التحقق الفعلي (الحرفي) للنبوءة المتعلقة بهذه المدينة أو بغيرها يعكس ايمانهم بوجود تحول في الرؤية العالمية الكونية للرب يهوه وتاريخ شعبه اسرائيل . وهي تدلل في الوقت نفسه على أَنَّ الله تعالى (متمثلاً بيهوه الرب) قد يعدلَ عن خطته التي كان يوحى بها لهذا النبي أو ذاك متى ما شاء . وهذه الحقيقة بحد ذاتها لا تبطل حقيقةَ رؤية الباحثين في الكتاب المقدس بإمكانية العلم المسبق بالإرادة الربانية من قبل من يطلق عليهم أنبياء صادقون حتى وإن تغير مسار النبوءة كلياً أو جزئياً [١١] . وهذا الحكم يساعدنا في سرعة اتخاذ قرار الفصل بين من هو نبي صادق تتحقق نبوءته وآخر مثله صادق ولكن ما تنبأ به قد لا يستشعره الاخرون على نحو كامل ، الأمر الذي يجعل تنبأه ونبوءته عرضة للشك . وبناء على ذلك ، فقد ينتقص الناس من كل نبوءاته أو قسم منها وإن صدقت في التحقق (كليا او جزئياً ، عملياً أو رمزياً) لكن ظاهرة التحقق لم تكن ماثلة للعيان بموجب التحول والعدول في الإرادة الربانية ، كما قلنا آنفاً [١٢].

وفي الوقت الذي تنبأ حزقيال في الاصحاح ٢٦ (١- ٢١) على لسان الرب أن يوم الدينونة(الحساب) على صور أضحى وشيكا (*the imminent doom*) ، فلا بد وأن العديد من الاسرائيليين كانوا مبتهجين بهذه النبوءة لأن صور احتقرتهم وشمتت بهم . وفي الحقيقة فإن ما تنبأ به حزقيال كان ترسيخاً لمصداقية تحقق نبوءة قالها النبي اشعيا من قبل على هذه المدينة لكن الأخير لم يقرِّب ذلك اليوم بل ترك الزمن مفتوحا أمام المستقبل (وهذا وجه من اوجه النبوءات وصيغها المستقبلية) فقال: " *وفي ذلك اليوم تنسى صور سبعين سنة ، أي عدد أيام ملك واحد* " [١٣]. ومع ذلك فقد وعد اشعيا الى امكانية ان تحيا صور من جديد بعد مضي سبعين سنة من النسيان وستكون الحياة مع يهوه لا مع غيره من الآلهة . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فلقد كانت اورشليم تدنو من نهاية حصار البابليين لها والذي انتهي أخيراً بسقوط المدينة وتهجير سكانها الى بابل [١٤]. وعلى أية حال ، فبمرور الزمن أتضح ان النبوءة على مدينة صور لم يشعر بها المعاصرون لتلك الاحداث بالكامل لأن المدينة بقيت تمارس حياتها الطبيعية نسبياً وعلى وجه الخصوص الاقتصادية منها والثقافية . وبدون ادنى شك ، فإن مثل هذا القصور في تحقق النبوءة يستشعره عدد كبير من المؤمنين بالنبوءات الاسرائيلية ، ولكن ماذا يفعلون أكثر مما فعلوا ؟. بل أن الفشل الظاهر في تحقق نبوءة سقوط صور (على لسان اثنين من كبار الانبياء وهما اشعيا وحزقيال) [١٥] يستمر الى يومنا هذا ما وضع لاهوتيو التوراة والانجيل أمام تحد يعترض مفهوم النبوءة في عهدي الكتاب المقدس القديم والجديد . وعلى أية حال ، فهناك من يفضل أن تقيَّم نبوءة حزقيال على دمار وفناء صور ، وتحطم اقتصادها وفقاً لمعطيات من بينها الجغرافية التاريخية (وجغرافية المكان تحديداً) التي سنذكرها في أدناه .

المبحث الثاني : الجغرافية التاريخية اختبار لصدق النبوءة على صور

تعكس الجغرافية التاريخية أهمية مدينة صور الساحلية كما يظهر في الخارطة في أدناه ، فضلا عن ما روته أسفار العهد القديم ومصادر التاريخ القديم عنها وعن اهميتها الكبيرة بوصفها ميناءاً تجارياً نتيجة لموقعها الجغرافي طوبوغرافيتها (تضاريسها) والدور الذي لعبته بفاعلية في الساحل الفينيقي والبحر المتوسط . وهذا الموقع جعلها تتميز بمركزها التجاري لوقوعها على ساحل البحر المتوسط الى الشمال من اسرائيل القديمة لتكون حلقة الوصل التجارية بين أوربا وآسيا وأفريقيا. فمن حيث موقعها البحري القديم كانت تمتد على جزيرة بحرية (*an island*) بعمق يصل الى حوالي ٨٠٠ متر من الساحل . الا أنَّ الموقع الحديث لصور ليس كذلك كما تدلل الأدلة الأثرية بل هو على شبه جزيرة (a *peninsula*) وقد يعزى هذا الى تراكم الطمأ الغريني والترسبات التي تجمعت حول السدود ، أو نتيجة للحواجز البحرية (*the moles*) التي بناها الاسكندر الكبير من البر الى داخل الجزيرة البحرية عند سيطرته عليها في عام ٣٣٢ ق . م [١٦].

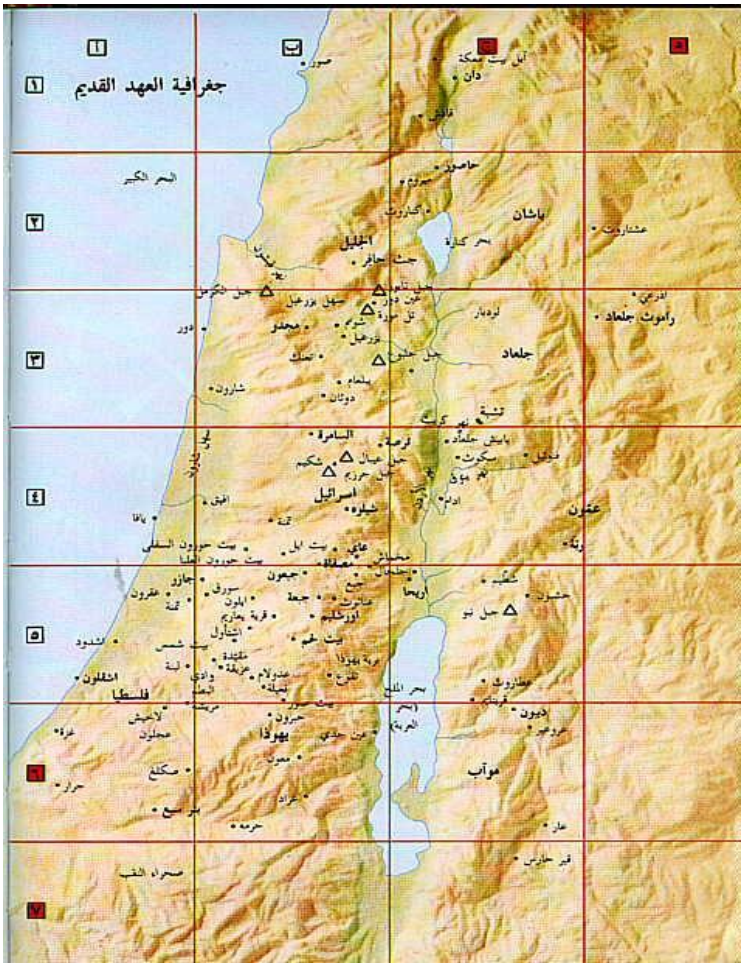

خارطة مدينة صور في جغرافية العهد القديم (نسخة الكترونية : موقع خرائط العهد القديم)

ولابد لنا قبل الشروع بتقييم نبوءة حزقيال على صور من حيث صدق تحققها أو عدمه ، من حسم مسألة طبيعة الموقع الجغرافي الدقيق للمدينة ومقارنته مع الوصف الطبوغرافي في سياق نبوءة حزقيال وبالتحديد ما نصَّت عليه الآيتان (٣ و ٣٢) من الاصحاح ٢٧ المعنون " *رثاء صور* ". فالآية الثالثة حددت موقعها عند *مداخل البحر* ، في حين في الآية الثانية والثلاثين نجدها في *وسط البحر* [١٧]. وبناء على هذا الوصف الجغرافي كان من نتيجة هذا الموقع المحاذي او المتوسط لعرض البحر انها حينما تعرضت للهدم اثناء هجوم ملك بابل عليها سقطت في وسط البحر (٢٧: ٣٢ – ٣٤) . وحقيقة لسنا متأكدين ما اذا كانت صور المقامة على البحر جزيرة بحق ومحاطة من جميع جهاتها بالمياه وترتبط بممر يوصلها بالبر، أم أنها مجرد شبه جزيرة ؟.

ولدينا مسألتان تستدعيان التأمل بهما حينما نقرأ الاصحاح ٢٧ ، اولاهما الرسالة التي أبلغها الرب لحزقيال ويبدو عليها طابع الحزن والأسى على مستقبل صور التي تنتظر الدمار ، ومطلع ما ورد فيها :(" *يا ابن البشر أنشد رثاء على صور*") [١٨]. وعليه ، فلابد وأن نميِّز بين رؤيتين أو بالأحرى قراءتين لهذه النبوءة في الترجمتين المعتمدتين للكتاب المقدس (العربية ١٩٩٥ ، والانكليزية ١٩٩٦) ؛ فالترجمة العربية نظرت الى ما بلَّغ به حزقيال على أنه نبوءة (a prophecy) وينطبق عليها الفعل " تنبَّأَ " بالصيغتين (prophesied predicted) ؛ في حين صوَّرتها الترجمة الانكليزية وكأنها رسالة سماوية (A divine message) ولم تستعمل كلمة نبوءة (a prophecy).

وأما المسألة الثانية فتتعلق بتحديد موقع مدينة صور في ضوء ما نقله حزقيال في الاصحاح ٢٧ . فتارة نجدها عند مداخل البحر (شواطئ البحر المتوسط) ، حينما قال : " *قل لصور الساكنة عند مداخل البحر المتاجرة مع شعوب الجزر البعيدة : هكذا قال السيد الرب : ...* [١٩] ، بينما في الآية ٣٢ من الاصحاح نفسه نجدها في وسط البحر ، فهذه الآية تذكر الآتي : " *وفي نواحهم ينشدون عليك هذا الرثاء : " من كصور تهدَّمت في وسط البحر* " [٢٠]. وقد لا تكون لهذه الآية دلالة على موقع المدينة الجغرافي في شطريه البري والبحري بالمقارنة مع الآية التي سبق وقالت أنها عند مداخل البحر.

ان ما يعكس تأثير اشاعة خبر النبوءة السلبي على صور داخلياً وخارجياً ردود الافعال التي صدرت من قبل الدويلات والمدن المحيطة بصور بعد أن شهدت المصير المؤلم لتلك المدينة الفاتنة المنيعة . فدويلات آرام وفينيقيا وكنعان المتمردة على ملك بابل كلها شعرت أن العقاب ينتظرها والشر سيطالها الواحدة تلو الاخرى قرب الزمن أم بعد . بيد أن ما يمكن ملاحظته في نبوءة الشر على صور الأمرين الآتيين:

أولاً : الايحاء بأن نبوخذ نصر (٦٠٤ – ٥٦٢ ق م) هو أداة الرب الذي سينفذ الدمار والخراب بالدول والمدن ويقتل من فيها أو يستعبدهم وهذه الرؤية تعد استمراراً لما تنبأ به النبي ارميا في الاصحاح ٢٥ .

فلم يكن مجي هذا الملك ليدمر مدينة صور على اليابسة فقط ، بل انه جاء ليهلك ويدمر الحياة في القسم البحري منها بأكمله ، فيرمي كل شيء يجده فيها في عرض البحر ويقتلع الحجارة من أساسها . وأما الأمر الأخر المهم عن سقوط صور فقد نقله لنا الاصحاح ٢٦ لاسيما أنه جعل الدمار الذي سيصيب صور على يد ملك بابل سيبدأ بفتح عسكري ومن ثم يعقبه الدمار الشامل . وفيما يخص سكانها سواء كانوا على البر أم على البحر فسيهلكون على يده اما غرقاً او يقتلون بالسيف . ومن المؤكد أنها تنبأت بأن الجزيرة الداخلة في البحر ستفرغ من ساكنيها وستزال من الوجود والى الابد [٢١]. وعلى العموم ، فلا بد من أن نتحول الآن لنرى الكيفية التي يتم بها تقييم هذه نبوءة من الناحية التاريخية .

المبحث الثالث : تقييم لتحقق النبوءة على صور تاريخياً :

إن اردنا تقييم تحقق النبوءة (The fulfillment of the prophecy) على صور بموضوعية تاريخية فلا بد وان نتوقع تحرك الملك نبوخذ نصر صوب مدينة صور بالتزامن مع قيام حزقيال بالتنبؤ عليها . ومن حسن الصدف أن نجد رقيما طينيا روى كاتبه ما قام به هذا الملك وجيشه الذاهبون معه الى صور من استحضارات أو استعدادات مسبقة (*provisions*) للانقضاض على صور [٢٢] . ولا شك ان البابليين لم يجدوا صعوبة في اجتياح قرى صور على البر [٢٣] ، ولكنهم في الوقت نفسه واجهوا مقاومة عنيفة وعقبات استغرقت مدة طويلة نسبياً منعتهم من التوغل في قلب المدينة المقامة على الجزيرة البحرية (إن صح هذا التوصيف الجغرافي) .فأهلها حصنوا مدينتهم جيدا واقاموا حولها الأسوار المنيعة . وذكر " جوزيفوس " ان نبوخذ نصر حاصرها قرابة ١٣ عاما (ما بين ٥٨٥– ٥٧٢ ق م) [٢٤] . وكانت النتيجة غير محسومة فيما يبدو ؛ فلم يتمكن من الحاق الهزيمة التامة بصور على الرغم من انها اضطرت على ان تكون من الناحية الفعلية تابعة لبابل (*a Babylonian vassal*) ، أي تسير وفق الارادة البابلية وتؤدي ما عليها من التزامات واتاوات . وهناك من يتوقع تولي ادارتها من قبل مسؤول بابلي ذو منصب رفيع (*a chief commissioner*). ولعله عيِّن كحافظ او قيِّم على دار الختم (*keeper of the seal*) ، ويشغل مسؤولية ادامة الارتباط بين الملك نبوخذ نصر والملك " بعل "(Baal) الذي حل محل الملك السابق " ايثوبعل (Ithobaal) الذي أعلن تمرده على ملك بابل. ومن المحتمل أن الاسرة المالكة قد جيء بها من صور الى بابل وانيطت المسؤولية لقسم من رجالاتها بعد حين ليتولوا الحكم في صور بعد الوثوق بما قطعوه من مواثيق والتزامات ثنائية مع بابل . وروى المؤرخ جوزيفوس أنه وبنهاية الحصار المفروض على صور حكم المدعو " بعل الثاني (Baal 11) ملكاً فيها ودام حكمه لعقد من الزمان . ثم خلفه عدد من الحكام القضاة وفي الآخر توالى على حكمها ثلاثة من الملوك [٢٥] .

وبحسب المعلومات التاريخية المتوفرة عن أحداث مدينة صور فقد حددت معالم الاحداث المصاحبة للنبوءة على صور وفقاً للترتيب الزمني الآتي : تنحصر السنوات التي تتعلق بهذه الأحداث ما بين ٥٩٠ ق . م و ٥٦٠ ق . م ؛ فتكون اولى نبوءات حزقيال في عام ٥٨٦ ق . م ، وبداية الحصار على صور في عام ٥٨٥ ق . م ، ثم دام الحصار مدة ١٣ عاماً كما أسلفنا وانتهى في حوالي عام ٥٧٢ ق . م ، وعليه فسيكون التأريخ المعدَّل والمنقح للنبوءة هو ٥٧١ ق م ، وأن ابرام الاتفاق مع البابليين على انهاء الحصار قد حصل في عام ٥٦٥ ق . م [٢٦] . وعلى كل حال ، فلدينا ما لا يقل عن وثيقتين معاصرتين للأحداث وهما عبارة عن رقيمين طينيين تم اكتشافهما في بلاد بابل وفيهما دليلاً على بقاء فعلي لمدينة صور بعيد رفع حصار الملك البابلي عن ضواحيها في حدود عام ٥٧٢ ق . م مما يضع ا لنبوءة التي تنبأت بزوال المدينة من الوجود نهائياً امام اختبار ميداني (مادي) لإثبات الوجود والمصداقية أو الخروج بمخرج يليق بمقامها . وسنتعرف في أدناه على مضمون هذين الرقيمين البابليين .

يتضمن أحد الرقيمين مسألة بيع محصول السمسم *(sale of sesame)* ويؤرخ في شهر ديسمبر/ كانون الأول من عام ٥٧٠ ق . م ، ولكنه لا يلمح في مضمونه الآخر الى مدينة صور سوى بالاسم فقط . وأما الرقيم الآخر فهو في الواقع عبارة عن عقد أو اتفاقية *(a contract)* كتبت في مدينة صور ويعود تأريخها الى السنة الأربعين من حكم نبوخذ نصر (٥٦٥ ق . م) أي قبيل عامين أو يزيد بقليل من وفاته (٥٦٢ ق . م) [٢٧] . يتضح لنا من خلال محتوى هذين الرقيمين ان مدينة صور لم تزول من الوجود على يد ملك بابل بل كانت تابعة له وبقيت تمارس دورها السياسي والدبلوماسي . فضلا عن ممارسة النشاط الاقتصادي مما يعني عدم تخريب بنيتها التحتية ومشاريعها الاقتصادية ولم تتضرر كثيرا تجارتها البحرية مع الخارج لأن جميع البلدان آنذاك لم يكن بوسعها الاستغناء عن التجارة مع صور وخدمات ربان سفنها الماهرين واطلاعهم على طرق الملاحة والموانئ البحرية.

وهذا الدليل المادي على عدم زوال صور من الوجود قد تعزز بدليل توراتي يتعارض مع فلسفة ومبدأ النبوءة على صور . فالدليل التوراتي يؤيد في الواقع استمرار الحياة التجارية في مدينة صور الى ما بعد هجوم نبوخذ نصر عليها ، وهو ما ذكره سفر عزرا / عزره (٣ : ٧) الذي يعدُّه أصحاب الترجمة العربية أسوة بسفر نحميا مكملان لسفري الأخبار . فهما نشئا في نفس المحيط الذي نشأ فيه سفرا الأخبار الأول والثاني ، ولهما نفس الروح التي يحملها سفر الاخبار [٢٨] . وعلى كل حال ، فبعد مرور عقود على انتهاء الهجوم البابلي على صور ورحيل نبوخذ نصر عن السلطة (أي بعد وفاته) ، وعودة اليهود من بابل للقيام بإعادة بناء الهيكل المدمر في اورشليم استأجروا عدداً من الصيداويين (*hired Sidonians*) والصوريين(Tyrians) لنقل خشب الأرز (cedar) عبر البحر من لبنان الى يافا ثم الى اورشليم لاستعماله في بناء الهيكل (المعبد) الجديد [٢٩] ، مما يعني بقاء هؤلاء الفينيقيين يمارسون حرفهم التي

ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، ومنها التجارة والنجارة والنحت ، ولم تتعطل الحياة في صور كلياً كما شاءت النبوءة المنسوبة للنبي حزقيال . (ينظر خارطة جغرافية العهد القديم في فقرة الجغرافية التاريخية) . فمما نقله سفر عزرا (٣: ٧) عن مزاولة الصوريين والصيداويين لحرفهم المشار اليها هو الآتي :

" وأعطَوا فضَّةً للنحاتين والنجارين ، وطعاماً وشراباً وزيتاً لِلصَّيدونيين والصُّوريين ليأتوا بخشب الأرز من لبنان الى يافا بطرق البحر ، بعد أن أذن كورش ملك الفرس لهم " (٣٠) .

إنَّ ما سبق ذكره يعد مؤشراً على ان تجار صور بقوا بعد نهاية الهجوم البابلي يمارسون تجارة بيع وشراء ونقل الخشب الى كثير من الأماكن ومنها يهوذا كما فعل اجدادهم في زمن النبي سليمان كما اشار سفر أخبار الأيام الاول (٢٢ : ٤) . ليس هذا فحسب ، بل ان النبي زكريا الذي ابتدأت خدمته النبوية ما بين ٥٢٠ – ٥١٨ ق . م (٣١) هو الاخر قد تنبأ على مدينة صور مما يضيف دليلا آخر على انها ما تزال باقية حتى ذلك الحين ولم تمحى من الوجود بعد مرور ما يقرب من خمسين عاما على حملة نبوخذ نصر غير الموفقة عليها. فمما جاء في اقواله عن حصن صور وكنوزها من الذهب والفضة : *" بنت صُور حصناً لها وكَنَزت الفضةَ كالتراب ، والذهبَ كوحل الشوارع "* .(سفر زكريا ٩ : ٣) . ومما يلاحظ على وحي الرب الى زكريا في الاصحاح التاسع ، الآيات ٤ – ٨ في نبوءة الحكم على الشعوب المجاورة أنه ردَّد نبوءة رؤيا مشابهة لنبوءة حزقيال على صور ولكنه لم يقل أن الرب أزالها تماماً بل لَمَّح الى ان الرب *" سيضرب في البحر قدرتها فتؤكل بالنار "* ، وقد تكون فيها دلالة على حرق السفن المحملة بالتجارة . ثم قال فتخاف على اثرها اشقلون وغزة وعقرون وأشدود (وهي مدن فلسطينية) ، ويستولي الغرباء على اشدود وهكذا تخزى مدن الفلسطينيين بسبب كبريائها . فينزل الرب في هيكله ببركته ليحميه ويعيش الجميع بسلام بما فيهم الفلسطينيين الموالين كما عاش اليبوسيون مع بني اسرائيل في زمن النبي داود (ع) الذي احتل اورشليم ، وكان اسمها آنذاك يبوس كما نقل سفر صموئيل الثاني (٥: ٦ – ٩) وسفر يشوع (١٥: ٦٣) .

وفيما لو بحثنا عن دليل آخر من سفر حزقيال نفسه للتأكد من ان ملك بابل لم ينجح فعلاً في ازالة صور من الوجود ولا حتى الاستيلاء عليها كلياً ، لتوصلنا الى قناعة أن حزقيال غيَّر في تفاصيل النبوءة الاولى أو لربما حوَّرها بعد ستة عشر عاما من اطلاقه أول نبوءة على صور بشهادة ما رواه سفره في الاصحاح ٢٩ (١٧ – ٢٠) الذي ورد فيه :

" وفي الاول من الشهر الاول من السنة السابعة والعشرين بعد السبي [أي ٥٧١ ق م] قال لي الرب : " يا ابن البشر ، حشَد نبوخذ نصر ملك بابل جيشه على صور وبالغ في اجهاده حتى صار كل راس اقرع وكل كتف مسلوخة من العمل ولكن لا هو ولا جيشه حصل من صور على أجرة رغم الجهد الذي بذله . لذلك هكذا قال السيد ال رب : سأعطي نبوخذ نصر ملك بابل ارض مصر ، فيأخذ ثروتها ويسلبها

وينهبها فيكون ذلك اجرة لجيشه . اعطيه ارض مصر مكافئة له على ما عمل لأجلي . يقول السيد الرب ". (٣٢)

وتحوم التوقعات بأنَّ الملك البابلي لم يكن ليرفع الحصار عن صور ما لم يكن قد ضمن خضوعها له ولو ظاهرياً على اقل تقدير وذلك باستسلام عدد من زعمائها وتعهدهم بدفع ضريبة سنوية لبابل ، وليس لرفع الحصار صلة بوحي سماوي بدليل أنه لم يكن يعمل بمشورة النبي حزقيال ولا وجود لدليل ايمانه بيهوه إله اليهود ، الا اللهم ما خفي علينا فكان أعظم . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن رفع الحصار عن صور لا ينفي حقيقة أفول العصر الذهبي الذي سبق وعاشته المدينة من قبل . فبعدئذ ، لم تعد قادرة على استعادة مجدها الغابر وإن بقيت كما قلنا تمارس نشاطها التجاري في العصور الهلنستية والرومانية والبيزنطية والاسلامية المبكرة وصولا الى زمن الحروب الصليبية (٣٣) .

وفي خضم النقد الواسع الموجه لنبوءة حزقيال غير المتحققة على صور ، هناك من يحاول انصاف صاحب النبوءة بالقول أنها تحققت جزئياً ولكنها أخفقت في التحقق الكلي على ارض الواقع (٣٤) . وهنا لابد لنا من توضيح مسألة مهمة تتعلق بهذه النبوءة وهي تحول مسارها باتجاه مصر في الاصحاح ٢٩ (نبوءة على مصر) . وحتى في هذه النبوءة نحن امام احتمالية كبيرة عن فشل حملة نبوخذ نصر في السيطرة على أراضي مصر وجعلها تابعة له والتنعم بخيراتها . وهذه النبوءة تثير امامنا قضايا شائكة كالتي أثارتها نبوءة حزقيال على صور (في الاصحاحات ٢٦ – ٢٨) ، فنبوءة حزقيال عن احتلال نبوخذ نصر لأراضي مصر سبق وأن نقلتها نبوءة للنبي ارميا (٤٣ : ٨ – ١٣) (٣٥)، وفيها تحذير لليهود من السفر الى مصر للنجاة من سوط ملك بابل لأن أراضي مصر ستؤخذ ويسبى من فيها وتحرق معابد آلهتها بالنار على يد البابليين بقيادة ملكهم نبوخذ نصر . وفيما يتعلق بتلك الأحداث تتحدث المصادر التاريخية أن الملك المصري " افريس Apries " (٥٨٩ – ٥٧٠ ق م) قد أبعد من قبل أحد قادته العسكريين حينما أعلن " أماسيس : Amasis " (٥٧٠ – ٥٢٦ ق م) نفسه ملكا على مصر. ونتيجة لهذا الوضع السيء وشعور الملك المخلوع بالغبن سافر أفريس الى بابل يستنجد بملكها نبوخذ نصر ويشجعه على احتلال بلاده والالتحاق مع جيش بابل أملاً في استعادة عرشه المفقود . وبالفعل هوجمت مصر في حوالي عام ٥٦٧ ق . م . ولكن يبدو ان تلك الحملة لم تنجح في تحقيق جميع أهدافها بدليل مقتل الملك المخلوع اثناءها . ومع ذلك ، فهناك من يؤكد العثور على بعض الادلة لاستيلاء ملك بابل على مصر من قبيل العثور على بعض أختام العقود التي تحمل توقيعه واسمه . الا أنَّ هذه القرائن لا تكفي كدليل على خضوع مصر التام لبابل مع ان الباحثين اكتفوا بها . فلا يمكن اثبات هيمنة بلد على آخر لمجرد وجود عدد من الأختام هنا أو هناك ، فبالإمكان نقلها بين البلدان وخصوصاً اذا ما كانت متعلقة بقضايا تجارية كتوقيع العقود مثلاً . فلقد بات من المؤكد تقريباً ان مصر بقيت تتمتع باستقلال تام

، وأحياناً شبه تام بفعل التدخلات الخارجية حتى معركة " بلسيوم " (Pelusium) في العام ٥٢٥ ق م حينما خضعت لسيطرة الملك قمبيز الفارسي [٣٦]. وقد قوضت النصوص التوراتية في أسفار الانبياء الكبار أشعيا وارميا وحزقيال مجتمعة مساعي من حاولوا التشكيك بتحقق نبوءة حزقيال على صور. ففضلاً عن بعض القرائن الأثرية التي عثر عليها في مصر كدليل نسبي على خضوع هذا البلد لبابل ، هناك نبوءة كما قلنا للنبي أرميا على مصر تؤيد في محتواها ما تنبأ به حزقيال عنها وعن صور ، وأيضا توجد نبوءة مماثلة للنبي اشعيا على صور وصيدا ذكرها في الاصحاح ٢٣ ولكنها هي الأخرى تواجه نفس الاشكالات من حيث عدم كفاية الادلة بالتحقق التام كما هو الحال مع نبوءة حزقيال على صور ، ونبوءة ارميا على مصر [٣٧]. فأشعيا ذكر تلقيه وحياً على صور قال له : (" ولولي يا سفن ترشيش ، لأنَّ صور دُمِّرت وما بقي بيتٌ ولا مرفأٌ... ") [٣٨]. وقد خاطب اشعيا تجار وبحارة صيدا (صيدون) الساحلية التي وصفها أنها كانت قلعة البحر التي ينبغي عليها أن تستحي مما حصل لنظيرتها صور التي تكلم البحر عنها فقال : " *ما حبلت ولا ولدت ولا ربَّيت شباباً ولا نشَّأت عذارى !* " . *عندما يسمع المصريون بخبر صور يرتعبون* " .

وفي ضوء ما تقدم ، لم يبق أمامنا سوى النظر الى نبوءة حزقيال وتقييمها من الناحية الدينية ومحاولة البعض ايجاد تاريخ لها من خلال التأويلات التي يحتملها النص في الإصحاح ٢٦ وعلاقته بالإصحاحين ٢٧ و ٢٨ .

المبحث الرابع : التأويلات الدينية لتقييم تحقق النبوءة على صور

لا شك أن التأويلات الدينية لنبوءة حزقيال على صور تجعلنا أمام ثلاثة أبعاد ينبغي التحقق منها تباعاً لتعلق كل منها بالآ خر وعلى النحو الآتي ، اولاً : طريقة الرب في ادارة الكون وتدبير شؤونه ، ثانياً : العلم الغيبي الرباني بأسرار ما كان وما يكون ، ثالثاً : كيفية اختبار ما اذا كان النبي صادقا ام لا . ويكاد يكون التحدي الأبرز هو في علاقة هذه الأبعاد الثلاثة بالنبوءة التوراتية (The Biblical prophecy) . وسوف نطرح بعض التساؤلات عن جوهر النبوءة ونبحث في كيفية الاجابة عليها : فهل أن الأخيرة تنظر نحو المستقبل لتروي ما يمكن رؤيته بالفعل ؟، أم انها مجرد إعلان لما يعزم الرب القيام به ؟ وحري بنا ايضا أن لا نهمل أو نتغافل مسألة اخرى متعلقة بصميم النبوءة ولا تنفك عنها أبداً وهي ما اذا كان_زمن المستقبل الذي ستحقق فيه النبوءة قد حدد مسبقاً بشكل كلي وقطعي ؟ أم انه مجرد تحديد جزئي لل زمن مما يعني إمكانية أن يكون مغلقاً أو مفتوحاً أمام المستقبل (البعيد والقريب) ؟ . وفيما يبدو فإن نبوءة حزقيال على صور تتجه ببوصلتها باتجاه الخيار الأخير ، أي امكانية تغير زمن النبوءة وفقاً للإرادة الربانية والعلم المسبق بعاقبة الامور ، فتغير زمن التحقق مرهون بعدم توفر الشروط الموضوعية له .

ولعل غرض الرب الأولي من معاقبة صور قد اكتفى بما حصل لها ابان الهجوم البابلي من حصار ودمار لبعض بلداتها وتأثر تجارتها البحرية وهيبتها أمام غريماتها الأخريات (من الخصوم her opponents:) . مما يعني الاستغناء عن البقية الباقية من التفاصيل الجزئية في النبوءة (فالجزء قام مقام الكل) ، فالغرض الأسمى متحقق ولذا تسقط الحاجة عمَّا دونه حتماً . وعلى هذا النحو ، يمكن ان تبرر وتفسر نصوص النبوءات الدينية من دون أن ينتقص منها بذريعة عدم قناعاتنا بأدلة النصوص ومعانيها الظاهرية أو الشكلية ؛ فلربما نجد في المعنى الباطن مدلولاً يغنينا عن البحث فيما سواه . وفي هذا ما يدل على ان الرب ليس عاجزاً عن تنفيذ قوله على أرض الواقع ؛ بل بالعكس ، فبإمكانه أن يقول للشيء كن فيكون . والرب لا يريد لنبي من انبياءه الخذلان والعار كما قد يتصور بعضنا من عدم تحقق النبوءات . فالإرادة الربانية قد تغير مسار النبوءة من حيث أبعاد الزمان والمكان والأدوات الفاعلة فيها متى تشاء . ونستنتج بناء على ما تقدم أن تسمية النبي الصادق والنبي الكاذب من خلال ما يتنبأ به كل منهما لا يخرج عن سياق ما اجابنا عنه سفر التثنية (١٨ : ٢٢) الذي حدد عقوبة من يتنبأ باسم إله غير يهوه (جزاؤه القتل) أو يزيد على كلامه ، وكذلك سبب عدم تحقق نبوءة وتحقق أخرى [٣٩]. ويمكن أن يستنتج وفقاً لما عرضناه أن نبوءة حزقيال على صور لم تكن الاولى التي لم تتحقق كليا . وقد تبين لنا ضرورة الالتفات في دراسة التنبؤات والنبوءات في اسفار الأنبياء الى حقيقة تبدو بالنسبة لغير المتعاملين مع النصوص الدينية جديدة الا وهي ان الرب يهوه هو سيد الاحداث ومسبب الأسباب التي تجري بموجبها النبوءات. ويمكن تقييم نبوءة حزقيال على صور من حيث الزمان والمكان ونسبة التحقق ، فضلاً عن الغرض (الكفائي) أنها اتصفت بالمرونة *(flexibility)*.

ان البحث عن ملامح تاريخ صور وآثارها في العصور القديمة(Tyre in Antiquity) يقودنا الى التعرف على أثارها معالمها العمرانية وطبيعتها الجغرافية ، فضلاً عن علاقاتها السياسية مع القوى الخارجية وتجار تها واسعة الانتشار . ويمكن الاعتماد في هذا الجانب كثيراً على المعلومات المستقاة من المصادر المحلية والخارجية كالمصرية والعراقية والعبرية واليونانية. فعلى سبيل المثال عثر على نص لأحد ملوكها وهو يصف مدينة صور بانها كانت : "*قائمة في وسط البحر ولكنها لا تمتلك لا الماء ولا الخشب* " [٤٠]. مما يعني أنها لا تمتلك الارادة في الحصول على الماء ولا على الخشب بفعل الحصار المفروض على اهلها أو هيمنة قوة خارجية أرادت تدمير المدينة واهلاك من فيها وهو ما سيتضح من الفعل السيء الذي عوملت به صور من قبل ملك صيدا الساحلية . فخلال عصر العمارنة (القرن الرابع عشر ق . م) كان أحد ملوك صور المدعو " ابيملكي " : Abimilki قد أرسل عشر رسائل الى مصر مشتكياً من موقف غريمه ملك صيدون (صيدا) العدائي تجاهه وقيامه بالاستيلاء على مدينته المقامة على البر (*Tyre(the city) on the land*) والتي غالباً ما تدعى في النصوص المصرية والأشورية بـ

" أوزو " أو " أوشو" (*'Uzu' or ' Ushu'*) لتمييزها عن مدينة صور الداخلة في البحر (اي مدينة صور على الجزيرة (*Tyre(the city) on the island*) [٤١] . ليس هذا فحسب بل وكان ملك صيدا يرفض السماح لسكان الجزيرة في الحصول على الخشب والماء ، ولا حتى السماح لهم بالدفن في المقبرة (الجبانة the cemetery) الخاصة بهم . ومن جانب آخر ، فإن الخاصية الفنية والمهارة التي تميزت بها مدينة صور في شطرها البحري فيما يخص فنون التخطيط كالكتابة والزخرفة والتصوير قد انعكست بوضوح على أحد بوابات البرونز من موقع بلاوات (Balawat Gates) التي يعود زمن تشييدها لعصر الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨ – ٨٢٤ ق . م) [٤٢] . ومن الاكتشافات المهمة في الساحل الفينيقي تلك التي يعود الفضل بها الى نتائج التنقيبات والحفريات التي قامت بها المنقبة " باتريشا بيكاي " (Patricia Bikai) واماطت اللثام عن مستوطن ما تزال معالمه باقية على الجزء البحري من مدينة صور ويعود زمنه الى اوائل عصر البرونز الثاني (في حدود عام ٢٧٠٠ ق . م) . الا أن ما يؤسف له أن الطبقات التي تلي الطبقة الاولى منه التي يعود زمنها الى حوالي عام ٧٠٠ ق . م تبدو محطمة بفعل اعمال البناء الرومانية في هذا المكان . وهذا الوضع السيء يجعل عملية التوثيق والتحقق لما بعد أواسط عصر الحديد الثاني (٧٢٥ – ٥٥٠ ق . م) وصولاً الى عصر الحديد المتأخر (٥٣٠ – ٣٣٠ ق . م) في غاية التعقيد بعد أن طمست معالم المستوطن بشكل كامل تقريباً [٤٣] .

الخلاصة:

خلص البحث الذي تناولنا فيه نبوءة حزقيال على صور الى ابراز بعض الحقائق التاريخية ومن أهمها :

- تخلق التنبؤات والنبوءات والرؤى التوراتية أمام الباحثين ، على الرغم من جدوى دراستها تاريخياً ، إشكالات كثيرة تتعلق بالزمان والمكان ، والتفسير والتأويل ، واللغة الرمزية وأساليبها ، وكيفية ايجاد تسلسل تاريخي لها ، فضلاً عن أمكانية الاستفادة منها في فهم حقائق التاريخ والجغرافية القديمة منها والحديثة .
- لم تكن النبوءة على مدينة صور مبنيةٌ وفقاً لرؤية ربانية سليمة تتناسب والنطق النبوي بلسان الرب ووحيه ، بدليل أن ما قضاه الرب على هذه المدينة لم يتحقق مثلما نقلته النبوءة من حيث الموقع الجغرافي والنتيجة التي انتهت بها الحملة البابلية على الساحل الكنعاني ، حينما لم يتمكن ملك بابل نبوخذ نصر من تنفيذ الإرادة الإلهية لمدة ثلاثة عشر عاماً فتحول بعدها نحو مصر بوحي من الرب لينال منها ما يريد ، ومصر كما هو معروف في المقاييس المادية أقوى من مدينة صور وأكثر عدداً وأوسع مساحة .
- لم تتعزز هذه النبوءة بأدلة توراتية ولا أثرية تؤيد زوال مدينة صور من الوجود ورمي كل ما فيها في عرض البحر ، بل بالعكس كل الشواهد تؤكد بقائها واهلها يمارسون دورهم التجاري وكانت الدول آنذاك بحاجة الى خدماتهم في العصور التي أعقبت نهاية الهجوم البابلي الذي ذكرته النبوءة على صور وحتى القرون الأولى لظهور المسيحية .

- والأمر الآخر المهم الذي يحاول المعنيون بالشأن التوراتي تلافيه لإنصاف صاحب النبوءة هو القول بتحققها جزئياً بدليل محاصرتها لعقد ونيف من الزمان مما أدى الى التأثير السلبي على تجارتها وثروتها التي اشتهرت بها بين البلدان في الشرق الأدنى القديم . ليس هذا فحسب ، بل أن هناك من يشير الى أننا لا ينبغي أن نكتفي بالنقد النصي الظا هر بل علينا التمعُّن في مضامينه ودلالاته الرمزية لأن النصوص المقدسة الموحى بها من السماء تحتمل أكثر من معنى وتأويل . ولهذا ، قالوا يمكن تأويل رمي صور في البحر وازالتها من الوجود إشارة الى نهب وسلب تجارتها وثروتها من السفن التجارية المحملة في عرض البحر من قبل خصومها وحسادها ، لأن عماد الحياة فيها هي التجارة وبانقطاعها تنعدم ولو جزئياً ، فقطع الأرزاق كقطع الأعناق كما يقال .

هوامش البحث :

(*) الرؤى جمع لمفردة "*رؤيا* " أو *رؤية* (Vision) . والرؤيا ببساطة هي ما يرى في المنام . وقد تكون الرؤيا بواسطة الوحي والإلهام والإرادة الربانية . ويوجد ثمة فرق نسبي بين الرؤيا والرؤية (sight , insight) لأن الأخيرة لها دلالات أوسع ؛ فقد تشمل النظر بالعين وبالقلب ، أي البصر بالعين والبصيرة من خلال التأمل والتدبر . وفي قولنا : رائيته ، أي " شاورته " ، واسترأيته : أي استشرته . كما نقل الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم (ت. ٧١٨ هـ) في *القاموس المحيط* ، تحقيق وتقديم د. يحيى مراد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢ ، (القاهرة ، ٢٠١٠) ، (باب الواو والياء : فصل الراء) ، ص ١٢٣١. وقد تدل الرؤية على المنظور أو الأفق في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية .

وفي" النبوءة " رؤية متعددة الجوانب ، والنبوءة مصطلح توراتي بحت يقابله في اللغة الانكليزية مصطلح (a prophecy) من مصدر الفعل " يتنبأ "(prophesy) الذي يتوافق لفظاً ومنطقاً مع وظيفة النبي (the prophet) .

وقد جاء في لسان العرب لأبن منظور : النبأ ، وجمعه أنباء ، هو الخبر ، فان قيل أن لفلان نبأ أي خبر . ومنه الفعل أنبأ اي أخبر . واستنبأ النبأ ، أي بحث عنه . ويقال للنبأ خبر اذا كان ذو فائدةً عظيمة ، وحصل به علم أو غلبة ظن . ولا يقال للخبر نبأ الا اذا توافرت فيه هذه الشروط الثلاث المشار اليها . ويصح أن نسمي الخبر نبأ اذا تعرى عن الكذب ، وصدر من الله (تعالى) أو من رسوله (ص) أو كان خبرا متواترا. ويمكن ان يتضمن النبأ معنى آخر غير الخبر، وهو العلم ، فقولك أنبأته بكذا تعني أعلمته بكذا. ينظر للمقارنة والتحقق من الدلالات : الأسفار النبوية في العهد القديم (الترجمتين العربية ١٩٩٥ والإنكليزية ١٩٩٦) ، وأيضاً :

Beecher , Willis Judson , *The Prophets and the Promise* , (Digitized by Ted Hildebrandt Gordon College , 2005) , pp. 21– 25ff. ;

Grabbe , Lester L. , *An Anthropological Perspective on Female Prophets and Prophecy* , in *SBL* (= Society of Biblical Literature) , no. *15 , 2*013 , pp. 11 – 26 . See also : *The Prophets* in *LASB* (= *Life Application Study Bible : New Living Translation* , pp. 1046 – 1385 .(Isaiah – Malachi) .

ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، *لسان العرب* ، ج ١، دار صادر ، بيروت ، (" نبأ ")، ص ١٦٢– ١٦٤ .

الأصفهاني ، الراغب ، *مفردات ألفاظ القرآن* ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، ط٣ ، (الطبعات : دار القلم ، دمشق – الدار الشامية ، بيروت ؛ قم) ، ص ص ٧٨٨–٧٩٠ ، الفيروز آبادي ، *القاموس المحيط* ، م س ، (معنيي : نبأ و خبر) . وعن دلالة الرؤيا والرائي : الشامي ، رشاد عبد الله ، *موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية* ، الدار الثقافية للنشر ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٨ .

وجاء النبأ (مفرداً وجمعاً) في موارد وبمقاصد مختلفة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى في سورة النبأ چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ چ ، وفي سورة هود چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ ، وفي سورة الأعراف چ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ چ ، وفي سورة التغابن چ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ چ .

١. استُعمِل في نبوءة حزقيال على صور في الترجمة الإنكليزية للكتاب المقدس الفعلان (يقتل وتسقط) بصيغة المستقبل (المصنَّف بالبسيط في الإنكليزية) ويقابلهما في الترجمة العربية لنص النبوءة صيغتي المضارع الدالتين على المستقبل وكما مبيَّن في أدناه :

Ezekiel *in Life Application Study Bible (abbr. LASB) : New Living Translation ,* (Tyndale House Publishers , Wheaton , Illinois , 1996) , p. 1230 f., reads the Following :

(" ويقتل شعبك *بالسيف"* = (he will slay your people with the sword) ،" *وانصابك الهائلة* تسقط الى الأرض " = (your famous / strong pillars will topple) . وقد ترجمت صيغة الزمن الماضي العربية في عبارة ("*وقال* السيد الرب"*)* بصيغة المضارع البسيط في الانكليزية = (For thus *says* the Lord God) . ومما هو معروف في قواعد اللغة الإنكليزية أن زمن المضارع البسيط (The present simple) غالباً ما يستعمل لذكر الحقائق والأفعال التي تتكرر يومياً وباستمرار. وللاطلاع على صيغ ودلالات أفعال الماضي والمضارع والمستقبل في اللغة الانكليزية ، للحكم على مصداقية استعمالاتها في ترجمة النص العربي للنبوءة آنفاً ينظر :

Allen , W. Stannard *, Living English Structure* , 5th ed. , Longman group limited , (1974) printed in Singapore by four strong Printing company ,pp. 27 ff. , 110 ff. ; Azar , Betty Schrampfer , *Basic English Grammar* , Barbara Matthies : consulting editor , (New Jersey :USA , 1984) , pp. 150 – 60 .

٢. قارن دلالات الأفعال في نبوءة حزقيال على صور باللغة العربية مع الترجمة الانكليزية في كل من:

Udd , Kris J. *," Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre* , *Tyndale Bulletin* , 56.1(2005) , pp. 28 – 29 ; See also Ezekiel in *LASB* , op cit , p. 1197 ff.

٣. ينظر : Ezekiel *in LASB* , p. 1230 f.;

Corral , Martin A. , *Ezekiel's Oracles Against Tyre* , (Biblica et Orientalia , 46 , Rome : 2002) , p. 18 ;

يقال أن يهوذا كانت في ذلك الوقت بحاجة ماسة الى المعادن والخيول لتوظيفها في ساحة الحرب وكانت صور تمتلك احتياطياً كبيراً منها من حيث هيمنتها على تجارتها وتوزيعها على البلدان . ينظر عن وجهة النظر هذه :

Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , . p. 28 .

٤. سفر حزقيال ٢٦ : ١٩ – ٢١ .

٥. ينظر سفر حزقيال (٢٧ : ١ – 26) وما ورد في سفري اشعيا وارميا ؛ وأيضاً :

Ezekiel 27: 1– 26 *in LASB* , with the footnotes .

٦. سفر حزقيال ٢٦: ١ – ٢ ، قارن مع :

Ezekiel 26 : 1– 2 f. *in LASB* , with the footnotes .

٧. سفر حزقيال ٢٦ : ١ .

٨. ينظر للمزيد من التفاصيل عن نبوءة حزقيال على صور (سفر حزقيال ٢٦ : ١ – ١٦) ، قارن رثاء صور في الاصحاح ٢٧ من هذا السفر ، وله أيضاً نبوءة على ملك صور ذكرها في الاصحاح ٢٨ . فضلا عن الهوامش التعريفية في الترجمة العربية للعهد القديم (١٩٩٥) ، ص ص ١٠٦٨ – ١٠٧٢ ؛ وعن الجزر البعيدة عن صور ما ذكره سفر اشعيا (٦٦ : ١٩) . وأيضا ما تم بحثه عن التنبؤ والعلم المسبق في نبوءة حزقيال على صور في :

Udd , Kris ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre* " , op cit , . pp. 25 – 41.

٩. ينظر نبوءة العقاب على الأدوميين الساكنين عند جبل سعير في أرض أدوم جنوبي البحر الميت في حزقيال ، الاصحاح ٢٥(١٢ – ١٤) ؛ ٣٥ (١ – ١٥) ؛ قارن ما جاء عن أرض أدوم في سفر التكوين ٣٢: ٤ وسفر العدد ٢٤: ١٨ .

١٠. Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre* ", op cit , pp. 25 – 41.

ونقتبس في أدناه جزءا مما استخلصه الباحث" كريس ج. أود " (Kris J. Udd) عن عدم تحقق نبوءة حزقيال على صور اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار الأسلوب الذي تنبَّأ به النبي عنها :

" Ezekiel's prophecy against Tyre was not fulfilled in the manner predicted by the prophet ".

١١. هذا الوصف في تحول مسار النبوءات ، أي عدم تحققها بالكامل يتجلى في النبوءة على صور والنبوءة على مصر ، فملك بابل لم ينال ما كان يصبوا اليه من حملته على صور فحوله الرب على مصر لتكون اجرة له ولجيشه وبديلا عن صور المستعصية المنيعة ! . ينظر عن هذا الموضوع : نبوءات حزقيال على صور ، الاصحاحات (٢٦ – ٢٨) وعلى فرعون مصر (٢٩ : ١ وما بعدها) وأيضاً :

Baines , John and Jaromir Malek , *Cultural Atlas of Ancient Egypt* , (New York : Facts on File , 2000) , p. 51 ; Kuhurt , Amelie , *The Ancient Near East* , op cit , pp. 644 – 45 ; Greenberg , Moshe , Ezekiel 21 – 37 (Anchor Bible , 22a ; New York : Doubleday , 1997) , p. 617 .

.١٢Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre* , op cit , p. 25 .

١٣. قارن نبوءة حزقيال عن سقوط صور مع نبوءة اشعيا (٢٣ : ١٥ – ١٧) عن نفس الواقعة . فقد تنبأ أشعيا عن ذلك اليوم فقال : *"وفي ذلك اليوم تُنسى صور سبعين سنة ، أي عدد أيام ملك واحد ، وبعد السبعين سنة تكون صور مثل الزانية* [المنسية التي تكثر العزف بالرباب ، تطوف في المدينة وتحسن الغناء لكي يتذكرها الرجال . تشبيه غريب !] *... ، وبعد السبعين سنة يتفقد الرب صور ، فتعود الى سابق عهدها فتتاجر مع جميع ممالك العالم على وجه الارض* " . أشعيا ٢٣ : ١٥ – ١٧ .

١٤. يستعمل ضمير التملك للمؤنث (*her*) مع المدن والممالك ، مثال على ذلك ما يقال عن تهجير الكثير من سكان اورشليم الى بلاد بابل :

The deportation of much of *her* (*Jerusalem*) population to Babylonia

١٥. قارن هذا السياق مع نبوءة ارميا (٢٥ : ١ – ٢٦) عن العدو الآتي من الشمال على مملكة يهوذا في السنة الرابعة من عهد يهوياقيم بن يوشيا التي أوحيت له في السنة الاولى من تسنم نبوخذ نصر لمنصبه ملكاً لبابل (٦٠٥ / ٦٠٤ ق . م) . وفيها لم يحدد ارميا كم من الزمن ستنسى وتموت ممالك الفينيقيين ومن حولها في بلاد حاتي وبلاد العرب وفارس ومصر . لكنه حدد سبعين سنة لغضب الرب وعقابه على يهوذا ، وهذا العدد من السنين يعدل عمر انسان عادي (كما في المزمور ٩٠: ١٠ ؛ قارن مع ارميا ٢٩: ١٠ ؛ زكريا ١: ١٢ ، ٧ : ٥) . وذكر سفر اخبار الايام الثاني (٣٦: ٢١) هو الآخر أن عقوبة الرب ليهوذا دامت سبعين سنة مثنّياً على ما نقل على لسان ارميا . *" تبقى الارض بورا سبعين سنة ، حتى تُعوِّض عمَّا فاتها من السُّبوت التي لم تستَرِح فيها طول تلك المدة* " . اخبار الايام الثاني ٣٦: ٢١ .

.١٦ Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre* ", op cit , p. 26.

١٧. ينظر للمقارنة الترجمتين العربية (١٩٩٥) والانكليزية (١٩٩٦) .

١٨. نقرأ في حزقيال (٢٧ : ١) : :" *يا ابن البشر* (*Son of man*) *أنشد رثاءً على صور* " : (*sing a funeral song for Tyre*) . المقصود بالرثاء هو الترتيلة (الترنيمة) الحزينة (*a sad / sorrowful hymn*) .

١٩. حزقيال (٢٧ : ٣). ويعبّر النص الانكليزي (See : Ezekiel in *LASB* , pp. 1231 f.) عن مضمون النبوءة (الرسالة المبلغ بها) على صور بالآتي:

Give Tyre this message from the Sovereign LORD : You claimed , O Tyre , to be perfect in beauty :)

والملاحظة التي نسجلها في هذا السياق بالمقارنة مع النص العربي أنه عدّها *رسالة* (*message*) منزلة من الرب الى حزقيال ولا نعلم هل هي في رؤيا أم الهام أم بوحي مباشر . والنص العربي نقلها على انها كلام وحي الرب ولذا فهو يبتدئ بـ : *" وقال لي الرب : وانت يا ابن البشر ، انشد رثاء على صور* " .

٢٠. قارن بين حزقيال (٢٧ : ٣) *(" قل لصور الساكنة عند مداخل البحر(At the gateway of the sea)* *المتاجرة مع شعوب الجزر البعيدة : هكذا قال السيد الربُّ ")* ، و حزقيال (٢٧ : ٣٢) : "من كصور تهدمت *في وسط البحر* " . وأقرب ترجمة لها هي :

(Was there ever such a broken city as *Tyre in the midst of the sea?*)

لكننا نجدها في الترجمة الانكليزية تنقل بهذا المعنى :

Was there ever such a city as *Tyre , now silent at the bottom of the sea* ? . لقد تداخل المعنى والتبست جغرافيته في هكذا ترجمة بين الآيتين ٣ و ٣٢ فضلل علينا تحديد الموقع المناسب لصور من جهة ، والحكم أيهما الأصوب بين اللغة العربية والانكليزية . فهل هي في وسط البحر أم في مدخله الساحلي ؟ ام هي غرقت في قعره بمعالمها وتجارتها وسكانها ؟ . فالاشكال قد يكمن هنا في استعمالات اللغة الرمزية والمصطلحات المجازية في النصوص الدينية السماوية .

See : Ezekiel in *LASB* , pp. 1231 f.

٢١. ينظر : حزقيال (٢٦ : ٧ وما بعدها) وأيضاً :

Udd , Kris J. ,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 29 .

٢٢. نشر نص الرقيم من قبل (E. A. Unger) ، نقلاً عن :

Udd , Kris J. ,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 29 .

٢٣. تشمل القرى الفينيقية المأهولة بالسكان على البر التي كانت تابعة لصور البحرية كلا من : " اوشو Ushu، بورج Burj ، رجيدية / رشيدية Rachidiyeh ، وكنه Cana: ينظر

Udd , Kris J. ,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 29 ; Maria Aubet , *The Phoenicians and the West : Politics , Colonies and Trade* , p. 31.

٢٤. اعتمدت تواريخ حصار البابليين لمدينة صور على المؤرخ اليهودي جوزيفوس وقد أخذها عنه باحثون من بينهم (ولثر زمرلي Walther Zimmerli) الذي أخذها من (فليمن W. B. Fleming) و(انجر E. Unger). الا أننا قد نجد تواريخ تزيد عليها قليلا اقترحها عالم الآثار الامريكي (وليم فوكسويل أولبرايت : W. F. Albright) وهي ما بين ٥٨٧/٥٨٨ و ٥٧٥/ ٥٧٤ ق . م . ينظر للمقارنة والمزيد من التفصيل:

Udd , Kris J. ,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 29 – 30 *(note and margin 13)* , See also : Walter Zimmerli , *Ezekiel 2* (Hermeneia; Philadelphia : Fortress Press , 1983 ; translated from German, 1969) , p. 118 .

٢٥. من بين الملوك الذين نصبتهم حكومة بابل من العائلة المالكة السابقة في صور التي يرجح نقلها الى بابل كل من : " بعل – ازر الثالث : Baal–ezer 111(٥٥٦ ق م – ؟) و " مهر– بعل " Mahar – baal (٥٥٥ – ٥٥٢ ق . م) و " حيرام الثالث : Hiram 111 " (٥٥١ – ٥٣٢ ق . م) . وورد في احد النصوص البابلية من زمن نبوخذ نصر ان هناك ملكاً من صور كان يتلقى راتباً من البلاط البابلي . للمزيد من التفاصيل ينظر كلا من :

Udd , Kris J. ,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 30 f. ; *" Tyre " and " Ba'l " in* Pritchard's *ANET* , op cit (various pages); , and Corral , Martin A. , *Ezekiel's Oracles Against Tyre* , op cit , 59 , n. 160 .

٢٦. Udd , Kris J.,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 30 (the table of dates suggested) .

٢٧. Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 31 .

٢٨. ينظر مقدمة الأسفار الأربعة المذكورة في المتن . وفيما يتعلق بمصير مدينة صور الكنعانية فقد روى سفر عزره (٣ : ٧) بقاء تجار وحرفيي صور وصيدا يمارسون نشاطهم التجاري والمعماري وهذا يتعارض مع نبوءة حزقيال وقبله اشعيا عن زوال دور صور التجاري في البحر المتوسط ، بدليل استئجار عدد من النحاتين والنجارين والتجار من صور وصيدا لعمل ونقل الخشب حينما شرع " زربابل " (أي المولود في بابل أو بذرة بابل) العمل بإعادة بناء الهيكل المخرب في اورشليم ومعه جموع من الكهنة وكل من رجع من السبي الى هناك وفي الشهر الثاني من السنة الثانية من مجيئهم الى اورشليم ؛ أي في نيسان – أيار ٥٣٧ ق . م ، بحسب مفسري وشراح الكتاب المقدس في الهامش ٣ : ٨ من سفر عزره . ويصف الاصحاح الرابع من سفر عزره احتجاج السامريين في شمال يهوذا على قيام اليهود العائدين من بابل وبقية بني يهوذا وبنيامين ، ممن شكلوا مملكة الحنوب يهوذا قبل السبي ، ببناء الهيكل بدون مشاركة خصومهم في الشمال . فرفض زربابل طلب المعترضين مشيراً الى الامر الملكي الذي اصدره كورش الفارسي بإ سمهم وخصهم حصرياً بالعمل . وفيما يبدو تأخر تنفيذ أمر كورش بسبب الظروف التي ألمت بالمملكة الفارسية بعد وفاة كورش حتى جاء الوقت المناسب لإحيائه والمطالبة بتنفيذه في عهد دارا الأول (٥٢٢ – ٤٨٦ ق . م) الذي خلف قمبيز بن كورش .

عن تسلسل الحوادث والأسر الحاكمة في بلاد فارس ينظر : فيزهوفر ، يزف (جوزف) ، *فارس القديمة ٥٥٠ ق . م – ٦٥٠ م* ، م . س ، ص ص ٢٦٧ – ٢٨٠ . قارن أيضاً مع عزره (٧ : ١ –٧ و ٨ : ١ – ١٥) مع ملاحظة الهوامش التعريفية ، ص ٥٧٩ – ٥٨١ في الترجمة العربية).

٢٩. " عزرا " (عزره) هو من ينسب اليه التقليد اليهودي السفر المؤلف من ١٠ إصحاحات ، وهو من تصفه نصوص سفره بـ (" *الكاهن العالم الماهر* ") الذي أعاد إصلاح الشريعة بعد عودة اليهود من بابل الى اورشليم في زمن الملك الفارسي ارتشحتا .

٣٠. قارن ما ذكره عزرا ٣: ٧ مع رواية سفر الملوك الأول ٥: ١٥ – ٢٥ . وبالنسبة الى مدينة يافا التي كانت مرفأ على البحر المتوسط فهي اليوم تمثل أحد أحياء العاصمة الاسرائيلية " تل ابيب ". يؤرخ عزرا (٣ : ٨ – ٩) البدء ببناء الهيكل اليهودي في الشهر الثاني من السنة الثانية لمجيء زربابل ومعه اليهود العائدون من بابل من كهنة ولاويين وغيرهم .

٣١. عاصر النبي زكريا بن برَخيَّا بن عدُّو النبي (وله ١٤ إصحاحاً) الملك داريوس (٥٢٢ – ٤٨٦ ق . م) ، ومعنى اسمه الرب يذكر. كلَّمه الرب (أي أوحى اليه) في السنة الثانية لداريوس وهو في موضع اقامته في " حدراخ " الآرامية الواقعة في شمالي دمشق ، بين حماة (على نهر العاصي) وحلب .

٣٢. حزقيال (٢٩: ١٧ – ٢٠) ؛

Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre* , op cit , p. 31.

حدد تأريخ النبوءة (oracle) على صور ما بين آذار ونيسان من عام ٥٧١ ق م . عن هذا التأريخ ينظر هامش ونص حزقيال ٢٩ : ١٧ الذي اتفق عليه الباحثان " زمرلي " و" بيكر " (Zimmerli and Paker) نقلاً عن " كريس ج. أود " (Kris J. Udd) . وقد برر " كريس " ان هذا التأريخ ليس زمن اعلان النبوءة بقدر ما هو التنبؤ بالمحاولة الناجعة التي اقدم عليها الملك نبوخذ نصر ليقهر صور والتي باءت بالفشل ، لأنه لم يحصل منها على أجرة (Wages

) من الرب لجـ يشه بسبب المقاومة الشرسة للهجوم . ولأجل ذلك كافأه الرب بان جعل حملته تتجه نحو مصر لينال منها ضالته ويأخذ اجرة جيشه منها ، وقد حصل هذا بعد ثلاث سنوات ، ولكن لا تبدو على حملته علامات النجاح المطلوب الذي كان يتوقعه منها.

٣٣. ينظر عن هذا الموضوع :

Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 32 ; Jidejian ,Nina , *Tyre through the Ages* , (Beirut : Dar el- Mashreq , 1969) , p. 56 ; Baines , John and Jaromir Malek , *Cultural Atlas of Ancient Egypt* , (New York : Facts on File , 2000) , p. 51 ; Kuhrt , Amelie , *The Ancient Near East* , op cit , pp. 644 – 45 ; Greenberg , Moshe , *Ezekiel 21 – 37* (Anchor Bible , 22a ; New York : Doubleday , 1997) , p. 617 .

٣٤. عن تبني هذا الرأي ومبرراته ينظر :

Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op. cit .

٣٥. جاءت هذه النبوءة من جانب ارميا بناء على طلب اليهود الباقين في يهوذا بعد السبي ممن عقدوا العزم على ترك يهوذا والذود بحمى مصر التي استمالة نحوها موالاة صدقيا ملك يهوذا . فنصحهم ان الأخيرة لا تحميهم وسوف يأخذها ملك بابل وينصب عرشه فيها ويصير أهلها ما بين المطرقة والسندان . فخيَّرهم إما الموت بالسيف أو السبي الى بابل فالنبوءة أظهرت أن نبوخذ نصر سيوقد نارا في ارض الكنانة وفي بيوت الالهة ، ومما جاء فيها : *ويوقد نارا في بيوت آلهة مصر ، فيحرقها ويسبيها وينظّف ارض مصر كما ينظّف الراعي ثوبه من القمل* [تشبيه بليغ] ، *ويخرج من هناك بسلام . ويكسر اعمدة بيت الشمس التي في ارض مصر ويحرق الهتها بالنار* ". ينظر : ارميا ٤٣ : ٨ – ١٣ .

٣٦. See also : Gardiner , Alan , *Egypt of the Pharaohs* , , (New York : Oxford University Press , 1961) , pp. 361 – 63 .

٣٧. ينظر للمقارنة ومدى تحقق النبوءات ، سفر ارميا : الاصحاحين ٤٣ و ٤٤ (= ارميا في مصر وكلمة الرب عن يهود مصر) .

Renz , Thomas , " *Proclaiming the Future : History and Theology in Prophecies against Tyre* " , in *Tyndale Bulletin* , 51 , (2000) : 17 – 58 ; Udd , Kris J. ," *Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre* ", op cit , p. 32 . For extra details , See : Zimmerli , *Ezekiel , 2 :* 119 .

٣٨. اشعيا ٢٣ : ١ .

٣٩. نقل سفر التثنية (١٨ : ٢٠ – ٢٢) عن الرب قوله : أن اي نبي يتكلم بإسمه ويزيد عليه من عنده وبما لم يأمره به ، أو أنه يتكلم باسم آلهة اخرى " فجزاؤه القتل " . ومن يريد ان يعرف ان كلاما صدر من نبي ومصدره الرب ، فعليه ان يعلم ان من تكلم باسم الرب ولم يحدث فذاك من عنده وزاد فيه النبي على الحقيقة فلا يجب ان يخاف منه احد وهو باطل .

٤٠. هذا جزء مما ورد في نص من احد رسائل موقع العمارنة ذي الرقم (١٥١) الذي نشره كاملاً (William L. Moran) . ينظر للمزيد عنه :

Moran , William L. , *The Amarna Letters* , (Baltimore : John Hopkins University Press , 1992) , pp. 238 – 39 .

٤١. *ANET* , op cit , 281–82 ; Udd , Kris J. ,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre*, op cit , p. 27 .

٤٢. ولمعرفة المزيد عن الكتابات المنقوشة (The Epigraphs) على بوابات بلاوات البرونزية وبعض المقتبسات المترجمة عن النص المسماري ينظر :

Oppenheim Leo , in *ANET*, op cit , pp. 281–82 .

٤٣. Udd , Kris J. ,*" Prediction and Foreknowledge in Ezekiel's Prophecy against Tyre,* op cit , p. 27 ; See also Maria Aubet , *The Phoenicians and the West : Politics , Colonies and Trade ,*) New York : Cambridge University Press , 1987) , p . 291 .

Abstract

This study is entitled (Ezekiel's Prophecy against Tyre in the Light of the Archaeological and Biblical Evidence) . Ezekiel's Prophecy against Tyre referred to in the Chapters (26 – 28) is one of the most complicated prophecies in the Old Testament (the Hebrew Bible , Torah) , except that of Gog and Magog , as it is seen as a sort of divination (prediction and foretelling) which was not fulfilled though it was told by a Hebrew prophet as revealed to him by the Lord .The problem of this Prophecy arises from the fact that he predicted Tyr's destruction and eternal removal during the campaign of Nebuchadnezzar II , king of Babylon , because the Lord God became angry when Tyre felt happiness and said that the wealth and merchandise of Jerusalem would turn to her when Jerusalem fell under the hand of the Babylonians .

This Prophecy , However , was not fulfilled as we said above according to what the prophet foretold under the claim (excuse) that the God had changed His Prophecy ; i.e. the doom against Tyre by leading the King of Babylon towards Egypt to be his new army's wage (that is booty / profit) . We focused in this study on the style , the historical formula and the symbolism of the text , the partial fulfillment , pointing out the unequal archaeological and Biblical evidence with Ezekiel's prophecy against Tyre . For example , The Books of Isaiah , Jeremiah , Ezra and Zechariah as well as the Cuneiform and classical sources do not prove the final existence of Tyre after the date of the prophecy (ca. 571 BC) . They , on the contrary , confirm the existence of Tyre and her people exercising their role in trade and navigation till the latter periods that preceded the Christian Era . Our criticism , or rather , argument was according to the historical objectivity and integrity in order to clarify the reality of prophecy in parallel with the historical view based on synchronic sources concerning the same events ; the campaigns of Nebuchadnezzar against Tyre , Egypt and the coastal lands as well .